عنوان البرنامج: تقريب المذهب المالكي
الوحدة الرابعة: الممارسة التقريبية على مستوى التصنيف في المذهب المالكي
الدرس الثالث: جهود علماء المالكية في تقريب مصادر المذهب
اسم المحاضر: الدكتور عبد الله معصر

جهود علماء المالكية في تقريب مصادر المذهب

نظم فقهاء المالكية المادة الفقهية،

فجمعوا ما يرتبط بها في كتب عدت الأصول الأولى للمذهب،

ولقيت استحسانا وقبولا من لدن علماء المالكية،

حيث اعتمدوا ما فيها من مسائل وآراء،

فعكفوا على دراستها وخدمتها بالشرح والتحليل،

ثم رتبوها بحسب مكانة علو ونزول أسانيدها في المذهب المالكي.

وهذه المصادر في حقيقتها ليست إلا امتدادا لمدرسة مالك في الفقه، رام أصحابها تقريب فقه مالك.

ومن هذه المصادر

أولا: المدونة

وتعتبر المدونة الأصلَ الثاني للفقه المالكي – بعد الموطأ،

فهي أصلُ المذهب وعمدةُ الفقهاء في القضاء والإفتاء،

ورِواياتُها مرجَّحَةٌ على رواية غيرها.

وأصل المدونة هي الأَسَدية، لكن سحنونا لما قدم بهذه الرواية على القيروان بعد مراجعتها، هذبها، ونسقها تنسيقا جديدا، وبوبها، وألحق فيها من خلاف كبار أصحاب مالك ما اختار

ذكره، وذيل أبوابها بالحديث والآثار.

وقد ضمت المدونة بين دفتها حوالي 36 ألف مسألة، إلى جانب الأحاديث والآثار، وحظيت بعناية فائقة،

فمنهم من لخصها واختصرها،

ومنهم من اكتفى بالتعليق على بعض مسائلها،

ومنهم من نبه إلى مشكلاتها،

ومنهم من شرحها .

(محاضرات في تارخ المذهب المالكي: لعمر الجيدي ص181).

وقد تتبع بعض الباحثين الأحاديث التي تضمنتها المدونة فبلغ بها (551) حديثا، وهي أنواع:

منها (341) حديثا صحيحا

- اتفق البخاري ومسلم على (184) حديثا.
- وانفرد البخاري منها ب (20) حديثا.
- وانفرد مسلم منها ب (65) حديثا.
- وبلغ عدد الأحاديث الصحيحة التي نص عليها أحد الحفاظ (72) حديثا.

أما الأحاديث الحسنة فعددها (131) حديثا

- منها (103) أحاديث حسنة لذاتها
- و(28) حديثا حسنا لغيره

وعدد الأحاديث الضعيفة التي يزول ضعفها بوجود شواهد أو متابعات (70) حديثا، وفيها مراسيل صحيحة الإسناد.

والأحاديث الضعيفة التي ورد في أسانيدها رواة متروكون، أو مجاهيل العين عددها (9)

وليس فيها أحاديث موضوعة (تخريج الأحاديث الواردة في مدونة مالك: طاهر محمد الدردير ج3ص1266).

ثانيا: الواضحة في السنن والفقه(ت 238هـ/239هـ):

تعتبر الواضحة في السنن والفقه لعبد الملك بن حبيب **ثانية الأمهات والدواوين في الفقه المالكي**

وقد حظي هذا الكتاب بمكانة متميزة بصفة خاصة بالأندلس، ذلك أن مؤلفه **ورث منهجية الفقه المالكي لمدرسة المدينة، والمدرسة المصرية، ومدرسة القيروان.**

فالواضحة كتاب شامل يضاهي المدونة في بنائه وتكوينه الداخلي، وهو لا يحتوي فقط على مأثورات المالكية المبكرة التي تعود إلى الإمام مالك بن أنس، ومن بعده مباشرة، وإنما يحتوي أيضا على شروح و بعض الآراء المذهبية لابن حبيب (دراسات في مصادر الفقه المالكي: مكلوش موراني ص52).

فالكتاب يحتوي أيضا على سماع المؤلف من علماء مصريين كان قصدهم أثناء رحلته،

ومنهج المؤلف في كتاب الواضحة أنه يأتي بالترجمة ويورد أحاديث بسنده، ثم يقول عقب ذلك: قال عبد الملك، ويشرح بعض الألفاظ الواردة في الحديث الذي أورده.

ثالثا: المستخرجة من الأسمعة (العتبية)لمحمد بن أحمد العتبي(ت255هـ/254هـ)

وهي ثالثة الأمهات والدواوين.

فالمستخرجة هي إذن من الأسمعة التي جمعها محمد العتبي، وهي تشمل سماعات أحد عشر فقيها، ثلاثة منهم أخذوا عن مالك مباشرة، وهم ابن القاسم وأشهب وابن نافع المدني، والآخرون أمثال ابن وهب ويحي الليثي وسحنون وأصبغ.

لقد حفظ العتبي في المستخرجة –فضلا عن الروايات المسموعة– سماعات كثيرة عن الإمام مالك وتلاميذه، ولولاه لضاعت، إلا أنه لم يتمكن من تمحيصها وعرضها على أصول المذهب، ومقارنتها بالروايات الأخرى، وهو ما يفسر اختلاف مواقف علماء المالكية منها قبولا ورفضا، حتى قال ابن لبابة (ت314) في حديثه عنها: إن العتبي (كثر فيها الروايات المطروحة والمسائل الشاذة، وكان يؤتى بالمسألة الغريبة فإذا أعجبته قال: أدخلوها المستخرجة) (ترتيب المدارك ج4ص253).

وقد **كان من حسن حظ المستخرجة أن يهتم بها عالم الأندلس الكبير ابن رشد، فقام بهذه العملية النقدية في البيان والتحصيل، وأصبحت المستخرجة – بعد أن تميز فيها الصحيح والسقيم– خيرا وبركة وزيادة في فروع المذهب المالكي** (مقدمة البيان والتحصيل (ج1ص21).

وللعتبي في المستخرجة اصطلاح خاص بعناوين السماعات (الأجزاء/ الأبواب/الفصول) حيث

يعنونها بأول مسألة فيها فيقول مثلا: رسم القبلة، رسم حبل الحبلة، ورسم سلف ونحو ذلك.

رابعا: الموازية لمحمد بن إبراهيم المواز:

والموازية رابعة الأمهات والدواوين، وهو من أجل كتب المالكية وأصحها مسائل وأبسطها كلاما وأوعبه، حتى إن أبا الحسن القابسي رجحه على سائر الأمهات وقال:(إن صاحبه قصد إلى بناء فروع أصحاب المذهب على أصولهم في تصنيفه، وغيره إنما قصد بجمع الروايات، ونقل منصوص السماعات، ومنهم من تنقل عنه الاختيارات في شروحات أفردها وجوابات لمسائل سئل عنها، ومنهم من كان قصده الذب عن المذهب فيما فيه الخلاف إلا ابن حبيب) (ترتيب المدارك ج4ص 169).

وقد **تأثر ابن المواز بالمدرسة المصرية**، واعتمد على آراء فقهائها، ولشدة تأثره بآراء كبار تلاميذ الإمام مالك من المصريين أضحى معتمد المدرسة المصرية فيما بعد، والمعول بمصر على قوله (اصطلاح المذهب ص138).

خامسا: المجموعة لابن عبدوس:

وهو **خامس الدواوين**، وأشهر مؤلفات ابن عبدوس وأكثرها تداولا في المذهب، وكتاب المجموعة كتاب شريف على مذهب مالك وأصحابه، غير أن المنية أعجلت صاحبه قبل إتمامه. (ترتيب المدارك ج4ص223).

سادسا: المبسوط للقاضي إسماعيل:

سادس الدواوين، ومنه تعرف طريقة البغداديين في الفقه والتأليف، وهو أهم كتاب جامع لفقه وترجيحات الصدر الأول من مشايخ المدرسة العراقية في هذه المرحلة، فمؤلف المبسوط بلغ رتبة الاجتهاد. قال الباجي: وقد ذكر من بلغ درجة الاجتهاد(ولم تحصل هذه الدرجة بعد مالك إلا لإسماعيل القاضي)

والمبسوط وإن كان من إنتاج المدرسة المالكية العراقية، إلا أنه اعتمد من طرف علماء المالكية، وخاصة المدرسة المغربية والأندلسية، فقد احتفظ لنا الباجي في المنتقى بالكثير من الاقتباسات من المبسوط، كما اعتمد النقل عنه ابن أبي زيد القيرواني في النوادر والزيادات.

سابعا: النوادر والزيادات:لابن أبي زيد القيرواني

وهو **من أشهر كتب المالكية، جمع فيه ابن أبي زيد القيرواني ما في الأمهات من المسائل**

والخلاف والأقوال، فاشتمل على جميع أقوال المذاهب وفروع الأمهات كلها (مقدمة ابن خلدون ص245).

وكتاب النوادر والزيادات أكبر موسوعة في فقه المالكية استوفى فيه ابن أبي زيد النقول عن الإمام مالك، وفقهاء المذهب من أعلام تلامذة الإمام مالك، من المصادر الأصلية للمذهب التي ذهب الزمان بها إلا قليلا مما لم يرد في المدونة (مقدمة محقق كتاب النوادر والزيادات ج1ص 37)

والخلاصة أن الكتاب «من أعظم الكتب الفقهية، وأعونها على تكوين الملكة الفقهية، والتخريج على حسن الفهم ودقة التنزيل، وبراعة التعليل، فقد جمع فيه صور الحوادث التي لم تنص أحكامها في المدونة» (أعلام الفكر الإسلامي ص48).